... مُعجزاتٌ أعْجَزَتْ كلّ الورَىٰ...

أتقن الله الخالق صنع هذا الكون ، ودبّره بحكمةٍ دقيقة ، وليس في هذا الكون أي شيء خُلق عبثاً: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]. وبالتالي فجميع هذا الكون هو ملك لله عز وجل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٤].

وقد أمر الله مخلوقاته بالعبادة له سبحانه ، فوافق الجميع إلاّ فَسَقَة الإنس والجن: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]. ولذلك من أصول العقيدة أنه لا يتحرّك ساكنٌ ، ولا يُسكّن متحرّك إلا بأمر الله سبحانه ، ومن فضله وكرمه أن سخّر للإنسان كل ما في هذا الكون ، وجعل سبحانه ما فيه من جماداتٍ ونباتاتٍ وحيواناتٍ وجنٍ وإنسٍ تعترف بالحبيب المصطفىٰ صلوات الله عليه.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر ، حتىٰ إذا دفعنا إلىٰ حائطٍ من حيطان بني النجّار ، إذا فيه جملٌ لا يدخل الحائط إلاّ شدّ عليه.

قال: فذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فجاء ، حتىٰ أتىٰ الحائط ، فدعا البعير ، فجاء واضعاً مشفره إلىٰ الأرض ، حتىٰ برك بين يديه.

قال: فقال النبي ﷺ: «هاتوا خطاماً» ، فخطمه ، فدفعه إلىٰ صاحبه ، قال: ثم التفت إلىٰ الناس ، فقال: «إنه ليس شيءٌ بين السماء والأرض إلاّ يعلم

أني رسول الله إلاّ عاصي الجنّ والإنس»[1].

أجل يا رسول الله يا أحمد!

لقد كرّم ربنا الإنسان ـ مهما كان ـ فقال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

فكيف كان تكريم الرسل والأنبياء، وكيف كان تكريم صفوة خلق الله محمد ﷺ؟!.

لكَ معجزاتٌ أعجزت كل الورىٰ ... وفضائلٌ جلّت فليس تُحاكا
نطق الذراع بسمّه لكَ مُعلناً ... والضبُّ قد لبَّاكَ حين أتاكا
وكذا الوحوش أتتْ إليكَ وسلّمتْ ... وشكا البعير إليكَ حين رآكا
ودعوتَ أشجاراً إليكَ مطيعةً ... وسعَتْ إليكَ مُجيبةً لنداكا
والماء فاض براحتيكَ وسبّحتْ ... صُمّ الحصىٰ بالفضل في يمناكا

* * *

(١) مسند أحمد: ٣/ ٣١٠.